أحد إلاّ َ أخذت بنفسه ... فأتت رسول ا ... فوا ما هو إلاّ َ أن رأيتها على باب حجرتي فكرهتها![1530]. كرهتها غيرةً! ذلك أنّ رسول ا لمّا أظفره ربّه ببني المصطلق، وسيقت نساؤهم سبايا قُسّ ِمن بين أهل النصر، وقعت جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار، سيد القوم وقائدهم، في سهم ثابت بن قيس، فكاتبته على نفسها، فلمّا عاد الرسول للمدينة، انطلقت جويرية إليه، وهو عندئذ بحجرة عائشة، تستأذن في لقائه. وطرقت الباب ... فما أن فتحته عائشة حتّى رأت أمامها شابة مفرطة الحسن، ريّانة الصبا، فكرهتها خشية أن تقع في نفس الرسول. ودخلت الصبية، وكلّها قلق وذعر، فخاطبت النبي بصوت شجيّ ٍ عذب، مرتجف النبرات، فيه ضراعة، وفيه اعتزاز: يا رسول ا، أنا بنت الحارث بن أبي ضرار سيد قومه ... وقد أصابني من البلاء ما لم يخفَ عليك، فوقعت في السهم لثابت بن قيس، فكاتبته على نفسي، فجئتك أستعينك على أمري[1531]. فرقّ لها قلبه أن تهون، ويستذلّها الرقّ بعد رفعة وعزّ ٍ وحرية، فقال لها: «فهل لك في خير من ذلك؟». فسألت في لهفة: وما هو يا رسول ا؟ أجاب: «أقضي عنك كتابتك، وأتزوّجك». فتألّق وجهها الحلو، وتلوّن بالفرح، وقالت: نعم[1532].